فى ذكـــرى

المولد النبوى الشريف

ربيع الأول ١٣٩٠ هـ – مايو ١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخلاء الأعزاء ، أيها المؤمنون الأتقياء الأوفياء :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : فإنى أحمد إليكم الله تعالى إذ جعلنا من أهل الإيمان ، وأصلى وأسلم على مولانا رسول الله وهو منة الله علينا ، فقد أخرجنا الله على يديه من الظلمات إلى النور ، وجعله الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ، فجزاه الله عنا خير ما يجزى به نبينا عن قومه ورسوله عن أمته ، وصلى الله على آله الكرام البررة وصحابته الصفوة الأطهار ومن والاهم بإحسان على مر الأزمان ورضى الله عن شيوخنا الأجلاء الصالحين الذين أخذوا بأيدينا فى سلوكنا إلى الله تعالى على منهج الشرع الشريف فى همة لا تعرف الكلل وعزم لا يعتريه الملل وهم سيدى الغوث الحاج محمد أبو خليل وخليفتاه المباركان سيدى العارف الشيخ عبد السلام الحلوانى وسيدى العارف الشيخ على عقل ، رضى الله عنهم أجمعين وعن سلفهم وخلفهم إلى يوم الدين .

أيها الأحباب :

كم أشعر بالسعادة كلما التقيت بكم على بساط محبة الله ورسوله ، وقد ورد فى الحديث الذى رواه الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه ،

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى يقول أين المتحابون بجلالى ، اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى " .

كما روى الإمام أبو داود بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن من عباد الله أناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى قالوا يا رسول الله ، أتخبرنا من هم ؟ قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ هذه الآية : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

وإنى أقدم جزيل شكرى للسيد المفضال المهندس كمال قره رئيس مجلس إدارة شركتكم العظيمة إذ أتاح لى فرصة الاجتماع بكم فى هذه الليلة المباركة حيث دعانى كعادته السنوية لأحاضركم فى ذكرى المولد النبوى الشريف أعادها الله على بلادنا وعلى بلاد المسلمين جميعا بالنصر المبين وحررها من اعتداء اليهود الغادرين وأعوانهم المستعمرين . آمين

أيها الأصفياء :

اجتمعنا الليلة وما اجتمعنا إلا لقربة من أعظم القربات ، اجتمعنا فى فرح الأفراح ، فى ذكرى مولد أحب أحباب الله وأصفى أصفيائه وهى فرح الأفراح لأنها ذكرى فرح الأرواح ، وأين فرح الأرواح من فرح

الأشباح ، ففى فرح الأشباح يفرح الناس بصوت المغنى أو بضرب الدف ، أو الزمر ، ولكننا اجتمعنا لما هو أسمى من هذا بكثير ، فقد اجتمعنا على ذكرى أعظم من ولده الآباء والأمهات فى بنى البشر قاطبه ، وهى ذكرى ميلاد سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وهو سيد الأنبياء والمرسلين ، وهو الذى هدانا بإذن ربه إلى الحق وإلى طريق مستقيم فلولاه ما عرفت قلوبنا الطريق إلى معرفة الله وتوحيده ، والإيمان بالله تعالى إنما هو فى قمة نعم الله التى لا تعد ولا تحصى ، فلا مُلك يوازى نعمة الأيمان ولا سلطان يدانيها ولا مال يقاربها ولا بنون يوزنون بها ، لأن السعادة الحقة هى فى معرفة الله عز وجل ، فمن فاتته معرفة ربه فقد فاته الخير كله ، ومن وقع على معرفة ربه واستمسك بها فقد واتاه الحظ الأوفر وظفر بالسعادة التى لا شقاء بعدها .

أيها السعداء :

يقول الله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) قال ابن عباس رضى الله عنهما : إلا ليعبدون معناها إلا ليعرفون . فمعرفة الله تعالى هى إذن علة وجودنا فى هذه الدنيا .

ومن فضل الله علينا أنه بين لنا علة الوجود ، وزادنا من فضله فحذرنا من أن نفتتن بمظاهر الدنيا الخادعة التى يتقلب فيها أهل الإلحاد والكفر

والإشراك ، فقال تعالى مثلا (فذرهم فى غمرتهم حتى حين * أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون) وقال تعالى : (وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى * أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى * ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى * فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى * ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى * وأمر أهلك بالصلاة وأصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) . وقال تعالى : (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد * لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار *) .

أيها الأبرار :

ذكرتكم ببعض الآيات ولا بالكل ، فارجعوا على الدوام لكتاب الله واعتصموا به فقد نزل الله فيه ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ، وهو عصمتنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن . وقد روى الترمذى بسنده عن إمامنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

" ألا إنهـــا ســـتكون فتنـــة ، فقلـــت مـــا المخـــرج منهـــا يـــا رســـول الله ؟ قـال : كتـاب الله تعـالى فيـه نبـأ مـاقبلكم ، وخبـر مـا بعـدكم ، وحكـم مـا بيـنكم ، هـو الفصـل لـيس بـالهزل ، مـن تركـه مـن جبـار قصـمه الله تعـالى ، ومـن ابتغـى الهـدى فـى غيـره أضـله الله تعـالى ، وهـو حبـل الله المتـين ، وهـو الـذكر الحكـيم ، وهـو الصـراط المسـتقيم ، وهـو الـذى لا تزيـغ بـه الأهـواء ، ولا تلتـبس بـه الألسـنة ، ولا يشـبع منـه العلمـاء ، ولا يخلـق علـى كثـرة الـرد ، ولا تنقضـى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : (إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدى ألى الرشد فآمنا به) من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هُدِىَ إلى صراط مستقيم " .

أيها المؤمنون :

إننـــا فـــى فرحنـــا هـــذا بـــذكرى المـــيلاد النبـــوى الشـــريف ننـــافس ونحـــن علـــى بســـاط الأرض ملائكـــة الســـماء الـــذين بـــين الله لنـــا وظـــائفهم ومـــن بينهـــا وظيفـــة عظيمـــة الشـــأن تتصـــل بصـــاحب المـــيلاد وهـــو مولانـــا رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم وتلـــك الوظيفـــة هـــى دوام الصـــلاة والتســـليم عليـــه صـــلى الله عليـــه وســـلم ، ويشـــهد بهـــا قـــول الله تعـــالى (إن الله وملائكتـــه يصـــلون علـــى النبـــى يـــا أيهـــا الـــذين آمنـــوا صـــلوا عليـــه وســـلموا تســـليما) وهـــى جملـــة اســـمية تفيـــد دوام الصـــلاة عليـــه صـــلى الله عليـــه وســـلم مـــن ربـــه ومـــن الملائكـــة ، وبعـــد أن أخبرنـــا الله بصـــلاته تعالى عليه هو وملائكته أمرنا بالصلاة عليه ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ،

وقد قالوا إن صلاة الملائكة على نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل من سجودهم لآدم ، لأن سجودهم لسيدنا آدم كان مرة واحدة بينما صلاتهم على صاحب الذكرى دائمة ، كما أن سجودهم لسيدنا آدم كان للتأديب بينما صلاتهم على نبينا للتقريب .

وصلاة الله على رسوله الكريم معناها غمره برحمته تعالى وتكريمه بإعلاء قدره ورفع ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته وتفضيل أمته على سائر الأمم وتخصيصه بالمقام المحمود ودوام ترقيته فى درجات القرب والمعارف والأسرار الربانية مصداقا لقوله تعالى : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) .

وصلاة الملائكة معناها أنهم يدعون ربهم بمعنى " اعطف يا ربنا على سيدنا محمد عطفك الذى يليق بك منك إليه كما هو أهله ، وكما شئت له " .

وصلاة المؤمنين كذلك دعاء له صلى الله عليه وسلم بأن يجزيه الله عن أمته العاجزة عن مكافأته لقاء ما جاهد فى حفظ الدين ونشره ، وينوى المؤمن بالصلاة عليه محبة فيه وشوقا إليه والعجز عن شكره ومكافأته ، وورد فى السنة المطهرة أن صلاة المؤمن عليه صلى الله عليه وسلم تعود بالخير المثير على المؤمن ، فهى تكفر السيئات وترفع الدرجات وتقوى رابطته الروحية به صلى الله عليه وسلم ، فيصفوا القلب من أدرانه وينشرح الصدر للطاعات وينفر من المعاصى . وقد أخرج النسائى بسنده

عن أنس رضى الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشر مرات وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات " .

ويقول السادة الصوفية إن أقل عدد فى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وهو ثلثمائة فى اليوم ، وأهل الهمة لا يقفون عند هذا الحد الأدنى بل يتجاوزونه بكثير ، وإنى أعرف من تبلغ صلاته اليومية على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف ، وحدث عن أهل العزم ولا حرج . اللهم وفقنا لكثرة الصلاة والتسليم عليه كما تحب وترضى يارب العالمين .

أيها المؤمنون :

إنكم تستطيعون أن تتصوروا كم أفاض ويفيض الله على أحب أحبابه من عطائه بدوام صلاته عليه وهو شرف ما بعده شرف ، فضلا عن صلاة الملائكة والمؤمنين من عرب وعجم على مر الأوقات واختلاف الأجيال ، فلا تعجبوا بعد ذلك أن تكون رسالته الكبرى رحمة للعالمين من الإنس والجن والملائكة وكل خلق الله تعالى .

والفيض الذى يغمر الله به روح حبيبه الأول صلى الله عليه وسلم ليس متقيدا بقيد الحياة الجسدية ، فقد عقد الله له الزعامة على الأنبياء والمرسلين قبل أن يظهر برسالته على هذه الأرض فقال تعالى : (وإذ

أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمه ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) وهذا يفسر لكم قوله صلى الله عليه وسلم " آدم وما دونه تحت لوائى ولا فخر " وقوله : " لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعى " كما يفسر لكم لماذا حشر الله له ليلة الإسراء الأنبياء والمرسلين فصلوا وراءه فى بيت المقدس مؤتمين به صلوات الله وسلامه عليه ، وفى ذلك يقول أمير الشعراء شوقى رحمه الله :

أسرى بك الله ليلا إذ ملائكه والرسل فى المسجد الأقصعلى قدم
لما خطرت به التفوا بسيدهم كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذى خطر ومن يفز بحبيب الله يأتمم

ونسأل الله فى هذه الساعة المباركة أن يرد إلينا القدس والمسجد الأقصى وأن يدمر أعداءنا ويحرر بلادنا الطاهرة من رجسهم إنه سميع ومجيب .

أيها الأعزاء :

إن مؤدى هذا الميثاق الذى أخذه الله على سادتنا الأنبياء والمرسلين وأخبرنا به رب العالمين أن الإمامة العامة هى لمولانا رسول الله صاحب الذكرى حتى على أصحاب الشرائع التى سبقت فى زمانها ظهور رسالته ،

ومعنى الميثاق أن الله تعالى قال لأنبيائه ورسله الكرام : أردت أن تكونوا أصحاب شرائع تدعون الناس بها إلى ربهم وإلى العمل بأحكامه لكن سبقت مشيئتى أن يكون لكم كبير أختم بشريعته السماوية وهى شريعة تصدق شرائعكم وتزيد عليها ، فإذا ظهر فى أزمانكم كبير رسلى هل تؤمنون به وتكونون جنودا تحت لوائه وتنصرون دعوته وهل توجهون أممكم إلى أتباعه وطاعته قالوا نعم نقر بزعامته وإمامته علينا وعلى أممنا ما دمت أنت يا ربنا أردت ذلك ، قال الله تعالى لهم فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين .

وقد يقول قائل لكن جاء فى كتاب الله عن أولئك الذين سبقوه (أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده) فكيف يتفق مع ذلك أن يكونوا هم مقتدين به ، ويجيب على ذلك شيخ التصوف الأكبر سيدى محيى الدين بن عربى فيقول إن الله تعالى قال له : فبهداهم اقتده ، وهداهم هو شرعه لأنهم نابوا عنه فى أممهم حتى يظهر شرعه فى أمته وهو صلى الله عليه وسلم مأمور بشرعه ، ولذلك لم يقل له : فبهم اقتده ، بل قال : فبهداهم اقتده ، وكلام سيدى محيى الدين يدفع بقوته وهم الإشكال الذى قد يبدو لبعض الأفهام القاصرة .

فأى شرف هذا لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث ظهر أخيرا فتقدم على الرسل الكرام الأولين صلوات الله عليهم أجمعين

فكان كالعنوان يكتب آخر ويقرأ أولا ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ، ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أنك كنت آخر النبيين بعثا وقُدَّمت عليهم فى القرآن فقال تعالى : (وإذا أخذ الله من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) .

أيها المؤمنون :

لقد أبرز كتاب الله الكريم فضائل سادتنا المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم وقص علينا من أنبائهم ما ملأنا إكبارا لهم وإعجابا بهم ونحن إن تكلمنا فى فضل مولانا رسول الله عليهم ، إنما نثبت لهم الفضل مع بيان فضله عليهم ، وحاشا أن نقصد الإساءة إليهم أو الانتقاص من أقدارهم التى شاء الله أن تكون مرفوعة على الدوام ، وإنما نتحدث بنعمة الله علينا وعليهم فى إكرام الله تعالى لسيدنا صاحب الذكرى ، وكيف نسئ إليهم وقد نهانا هو صلى الله عليه وسلم عن ذلك حين قال " لا تفضلونى على يونس بن متى " وإنما خص أخاه يونس بالذات حيث نوه القرآن عنه بقول الله الكريم (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم * لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم * فاجتباه ربه فجعله من الصالحين) .

وقد يشوه بعض الجهال بسوء فهم قصته الرائعة ، فقد غضب لله

واستنجد فى بطن الحوت بالله ، وقبل الله تسبيحه حين قال : (فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون) وما كان أروع تسبيحه عليه السلام وقد بلغه الله إلينا (وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) .

أيها الأعزاء :

وإذن فلا مانع من التحدث بنعمة الله على مولانا رسول الله صاحب الذكرى من بطون القرآن الكريم ، ما دمنا نحافظ على حرمة إخوانه النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه ونبين ما يجليه لنا كتاب الله الكريم فى مقارنته صلى الله عليه وسلم بهم إبراز لفضله على فضائلهم وإن علت وإظهارا لقدره على أقدارهم وإن جلت ، خاصة وأن المتكلم بفضله هو رب العالمين جل جلاله وعز شأنه وهو القائل فى سورة البقرة : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) قال العلماء إن الذى رفعه الله درجات هو نبينا صلى الله عليه وسلم .

ونكتفى فى هذا المقام ببعض ما جاء فى القرآن الكريم عن سادتنا

المرسلين أولى العزم وهم خمسة وعلى رأسهم رسولنا صلى الله عليه وسلم ويجمعهم قول القائل :

محمد أبراهيم موسى كليمه

فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم

ومعنى أولى العزم أنهم أكثر الرسل تحملا للشدائد التى قابلتهم فى سبيل الدعوة إلى الله عز وجل فصبروا عليها محبة فى الله تعالى .

يحكى الله تعالى فى سورة الشعراء أن مما دعاه به سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام (ولا تخزنى يوم يبعثون * يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم) .

بينما يقول تبارك وتعالى فى سورة التحريم فى حق نبينا عليه الصلاة والسلام : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شئ قدير) .

فانظروا فى المقامين تجدوا أن سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام دعا ربه ألا يخزيه يوم القيامة ، وهو دعاء مستجاب بإذن الله ، بينما تفضل الله تعالى على نبينا عليه الصلاة والسلام فأعطاه النجاة من الخزى دون

سؤال ، وامتد فضل الله على الأمة المحمدية فشملها ذلك الفضل الكبير .

ولقد دعا سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام لذريته فقال فيما حكى الله عنه فى سورة إبراهيم : (وإذ قال إبراهيم رب أجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام) .

قارنوا بين هذا الدعاء الكريم وبين تفضل المولى عز وجل على ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى من غير سؤال (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وقد استعارت الآية الرجس للكفر والمعاصى واستعارت الطهارة للإيمان والطاعات ومن ذلك تدركون أن السادة آل البيت متقون بالفطرة الطاهرة التى فطرهم الله عليها عناية واختصاصا والله ذو الفضل العظيم .

وقد حكى الله فى سورة طه عن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام أنه قال (رب اشرح لى صدرى * ويسر لى أمرى) . وقد استجاب الله دعوته حيث جاء فى تلك السورة أيضا (قال قد أوتيت سؤلك يا موسى) ويخاطب الحق سبحانه رسولنا صلى الله عليه وسلم بما من عليه من غير سؤال فيقول فى هذا المقام فى سورة الشرح (ألم نشرح لك صدرك) كما يقول له (فإن مع العسر يسرا * إن مع العسر يسرا) فأعطاه سبحانه فضلا منه شرح الصدر وتيسير الأمر من غير طلب .

ويحكى الله تعالى فى سورة مريم تعجبها عليها السلام فتقول عندما بشرها سيدنا جبريل بغلامها الزكى سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام (قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا * قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا) .

قارنوا بين قوله تعالى فى حق سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام (ورحمة منا) وبين قوله تعالى فى حق صاحب الذكرى صلى الله عليه وسلم فى سورة الأنبياء (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) يتضح لكم من المقارنة أن رحمة الله التى كانت على يد سيدنا عيسى كانت للمؤمنين بينما رحمته التى كانت على يد رسول الله عليه الصلاة والسلام كانت أعم وأشمل ودخل فى هذه الرحمة حتى الكافرين فلم يمسخوا أو يخسفوا كما فعل الله بكفار الأمم الأخرى ، ويوضح هذا المعنى قوله تعالى فى سورة الأنفال : (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم * وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) وقد عرض الله على رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم بعد أن آذاه أهل الطائف أن يطبق عليهم الأخشبين (وهما جبلان بمكة) فقال : " اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون " فاعتذر عنهم وعندها قال سيدنا جبريل : صدق من سماك الرءوف الرحيم .

ودعوة الرسل الكرام على أممهم يستجيبها الله تأييدا لهم وانتقاما

من أعدائهم ولتكون عبرة لمن بعدهم ، فلقد حكى الله ما كان من سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام حين قال . كما جاء فى سورة نوح . (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا * إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) ويحكى استجابة دعائه فى سورة القمر فيقول تعالى : (فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر * ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر * وحملناه على ذات الواح ودسر * تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر * ولقد تركناها آية فهل من مدكر * فكيف كان عذابى ونذر) .

وما أروع ما يقوله الله بعد ذلك (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ولقد كرر سبحانه هذه الآية فى ذات السورة أربع مرات ، وكان يكررها بعد أن يبين ما حاق بكل أمة من أمم سادتنا المرسلين نوح وهود وصالح ولوط عليهم الصلاة والسلام ، وهو بذلك يكشف لنا عن فضله على الأمة المحمدية فقد جنبها أنواع العذاب التى أخذ بها غيرها ومن علينا بأن أبقى فينا معجزة القرآن الخالدة تبصره وذكرى لكل عبد منيب وقد قال تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) .

أيها الأعزاء :

إن المحافل التى تقام كل عام فى ذكرى الميلاد النبوى لا تزيد مولانا الرسول مجدا ، إنما المؤمنون هم الذين يزدادون بها شرفا وسعادة ، أما مجده صلى الله عليه وسلم فقد كتبه الله فى الأزل قبل أن يعرفه أهل الأرض ، بل قبل أن يخلق الله البشر ، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال : وآدم منجدل فى طينته " . أى قبل أن تحل الروح فى آدم أبى البشر .

وإننا بهذه المحافل السنوية نجدد بيعتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالإيمان بالله واليوم الآخر وبكل ما آمن به رسولنا العظيم صلوات الله وسلامه عليه ، وقد قال تعالى منوها بشرف البيعة والمبايعين فى سورة الفتح : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) ويقول العارفون إن هذه الآية هى أمدح آية فى القرأن الكريم لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث صارت يده ممثلة لربه جل وعلا فمن بايعه فقد بايع الله .

ولا يقولن أحدكم أن البيعة التى تشير إليها الآية كانت يدا بيد وهى بيعة الرضوان ولا سبيل إلى بيعتنا يدا بيد لانتقاله صلى الله ليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، فإن الصحابى الجليل جندب بن ضمرة رضى الله عنه ،

قد حمله بنوه على سريره مريضا يريد الهجرة إلى المدينة ليلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغ التنعيم على بضع كيلو مترات من مكة أشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله وقال : اللهم هذه لك وهذه لرسولك ، أبايعك على ما بايعك عليه رسولك صلى الله عليه وسلم ثم مات فنزل فى شأنه قوله تعالى فى سورة النساء (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغا كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما) .

وفى تجديد بيعتنا فى كل عام تجديد لإيماننا وتقوية لعقيدتنا فإننا بالبيعة نربط على قلوبنا لنكون من المؤمنين ، والإيمان فى قلوبنا هو رأس مالنا فإن أبقينا عليه حرصنا على التجارة التى لن تبور ، وقد كان أصحاب رسول الله يجلسون فيحمدون الله على ما هداهم للايمان ، وكان الصحابى الجليل عبد الله بن رواحة يقول لبعض الصحابة قوموا بنا نؤمن ساعة ، أى نقوى إيماننا بالتذاكر والتعاون على التقوى ، فإن فقدنا الإيمان لا قدر الله ، فقدنا مالا يعوض بأى عوض من متاع الدنيا الذى يفنى ولا يبقى ، وكنا فى الآخرة من الخاسرين ، ونعوذ بالله من ذلك الخسران المبين .

وما أرق ما يقوله فليسوف المسلمين السيد / محمد إقبال رحمه الله فيما ترجمه عنه إلى العربية صديقى الشيخ الصاوى شعلان :

كل شعب يروم عز حماه فبنور التوحيد لا بسواه
ليس يحمى أوطانه غير حر سيفه لا إله إلا الله

ويقول بعض صوفية الفرس فيما ترجمه الشيخ الصاوى أيضا :

إذا الورود دخلت من طيب نفحتها فلا تزاحم بها فى الأرض بستانا
إذا الوجوه خلت من نور سجدتها لم تستحق غداة الموت أكفانا
إذا القلوب خلت من ذكر خالقها فهى الصخور التى تحتل أبدانا
إذا خلا المرء من فهم ومعرفة ظلمت نفسك لو تدعوه إنسانا

ثم أننا فى هذه المحافل نتذكر حقوق صاحب الذكرى علينا ، وهى حقوق لله تعالى فقد قال جل جلاله (وما آتاكم الرسولب فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) كما جعله أسوتنا فى سلوكنا إلى الله تعالى : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) .

فنحن مطالبون أن نتمسك بأقواله وأفعاله وأحواله ، وفى تعرضنا للأقوال والأفعال والأحوال ننفخ فى أرواحنا من نفحاته ، ونوثق عرى بنوتنا الروحية التى تشرفنا بها ، ونعلم ناشئنا مما علمنا الله من ذلك ، فنؤدى بذلك لأنفسنا حقها ، كما نؤدى حق الخلف على السلف .

ولا يجوز أن تقتصر المحافل على مظاهر الأفراح من رفع الأعلام

وإضاءة الأنوار والتغنى بالتواشيح ، فذلك قشور ذاهبة بذهاب أيام الفرح المعدودات ولكن تزكية القلوب والأرواح بأنوار الإيمان والتقوى هى اللب الأهم ، وتلك التزكية هى الغذاء الذى يبقى أثره العلمى والعملى فى المجتمع الإسلامى (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .

وقد كان من عادة شيخنا الغوث الجليل سيدى الحاج محمد أبى خليل رضى الله عنه أن يسير فى شوارع الزقازيق بموكب صوفى يهللون ويكبرون ويصلون على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيوقظ أهل الغفلة من غفلتهم ، ويزيد أهل الشوق شوقا ، وأهل الهمة همة ، وقد حدث أن تخلف مرة عن الخروج بنفسه فى الموكب ، فرأى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرؤيا يعاتبه ويقول له لماذا لم تخرج فى موكبنا فحرص ألا يتخلف بعد ذلك الموكب حتى بعد أن كبرت سنة وازدادت شيخوخته .

وكان بعد مسيرة الموكب يعود بالمريدين إلى سرادق كبير يقيم فيه ندواته الدينية أياما ويذكر الناس فيها من أمور الدين ما علموا ويعلمهم ما جهلوا وقد أدركنا منهم رجالا من كبار الأولياء قل فى الجيل أمثالهم ، وهم الذين أخذنا عنهم تربيتنا الدينية التى هيأتنى للتحدث اليكم فى كل عام وأخص منهم شيخى العارفين بالله سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى وسيدى الشيخ على عقل ، طيب الله ثراهما وجزاهما عنى وعمن انتفع من صحبتهم خيرا

كثيرا ، وتنشر لى مجلة منبر الإسلام الغراء سلسلة من المقالات عن نثرهما وشعرهما تحت عنوان " الصوفية فى إلهامهم " منذ أربع سنوات أو يزيد ، ولعل بعضكم يتابع شهريا تلك المقالات .

أيها الأتقياء :

من حق رسول الله صلى الله عليه سلم علينا كذلك أن نؤدى له أجره الذى فرضه الله علينا بقوله تعالى فى سورة الشورى (قل لا أسألكم عليه أجر ا إلا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور) . واقتراف الحسنة هو مودة آل البيت عليهم الرضا والرضوان وتلك المودة هى سبيل مغفرة الله ورضوانه .

وقد عرف العلماء المودة فقالوا هى دوام المحبة ، فعلينا إذن أن نحب على الدوام سادتنا وسيداتنا آل البيت تأدية لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد روى الترمذى بسنده عن الإمام على كرم الله وجهه أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين فقال : من أحبنى وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة " وكذلك روى الترمذى بسنده عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " أحبوا الله لما يغذوكم من نعمة وأحبونى لحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبى " ويقول سيدى الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى مشيرا إلى الآية الكريمة السابقة :

أرى حب أهل البيت عندى فريضة
على رغم أهل البعد يورثنى القربا
فما اختار خير الخلق منا جزاءه
على هديه إلا المودة فى القربى

ويقول صديقى الشاعر العبقرى الأستاذ محمد جاد الرب فى ذلك :

جهادكم فى سبيل الحق ما طلبوا دنيا كما طلب الباغون أو فخرا
ولو أراد ثراء المال جدهمو لكان من كل أقيال الورى أثرى
لكنه لم يشأ عن هدى أمته إلا المودة فى القربى له أجرا

ومما نقلته من روائع سيدى وشيخى على عقل التى كان ينطق بها إلهاما لوقته دون إعمال فكر وذلك من عطاء الله سبحانه لأوليائه وأصفيائه :

ومهما ألام على حبهم فلست الفتى خائف اللائمة
فروحى على بابهم ترتمى ونفسى بأعتابهم خادمة
إذا مس نفسى فتور المعاصى بذكرهمو أصبحت هائمة
فيا عاذرى ثم يا عاذلى سواء رضاك أو اللائمه
فقل ما تشاء وكن ما تشاء فإنى أحب بنى فاطمة

ومن روائعه التى نقلناها عنه أيضا :

لقد غرسونى من زهور رياضهم
فطابت حياتى من مكارمهم زهرا
إذا قيل لى تهواهموا قلت ملكهم
ووقف يمين لا يباع ولا يشرى
إذا عشيت[١] عينى فطى جوانحى
عيون ترينى سر أنوارهم جهرا
فإذا كان ذنبى أن قلبى يحبهم
فإن ذنوبى لن تسلم بها حصرا
على بابهم أسمو سمو أولى النهى
فإن هم رضوا نفسى فقد عظمت قدرا

ولا تنسوا أيها الكرام البررة ان السادة آل البيت هم أكثر الأمة تضحية فى سبيل الله ، فقد حموا عقيدتنا بأرواحهم ، والبيت المحمدى هو أعظم البيوت استشهادا فى الجهاد ، كما أنه أعظم البيوت إمامة فى الدين ، فكم فقه أهله الأمة فى الدين على مر العصور ، وكم هدوا إلى الرشد ، وكم عصموا من الفتن ، وكم تحملوا فى الحفاظ على حقوق المسلمين الشدائد وقاسوا الأهوال ، وتوضيح الواضحات من المشكلات كما يقولون ،

---

[١] - كان رضى الله عنه كفيف البصر .

فلنعرف لهم فضلهم ولنؤدى حق الله ورسوله فى مودتهم والتأسى بهم فى الاستمساك بالحق والدعوة إلى الله ، والغيرة على حقوق الأمة ، رضى الله عن الأولين منهم والأخرين .

وقد عرف لهم الصحابة حقهم فأجلوهم وحافظوا على مودتهم ، وقد روى ابن عساكر فى التاريخ الكبير أن ابن عباس أخذ يوما بركاب الحسن والحسين فعوتب فى ذلك وقيل له أنت أسن منهما فقال : إن هذين ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفليس من سعادتى أن آخذ بركابهما .

كما روى ابن عساكر أيضا أن الإمام الحسين كان فى جنازة فجلس فى الطريق يستريح فجعل أبو هريرة ينفض التراب عن نعليه بطرف ثوبه فقال : يا أبا هريرة وأنت تفعل هذا ؟ فقال له دعنى فوالله لو يعلم الناس منك ما اعلم لحملوك على الرقاب ، وغير ذلك كثير لا يتسع الوقت لسرده وإنما يعرف الفضل من الناس ذووه .

أيها الأعزاء :

نبينا صلى الله عليه وسلم هو حظنا من الأنبياء وما أعظمه من حظ ، ولهذا شرفنا الله ببركته على سائر الأمم إذ يقول تعالى فى سورة آل عمران (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) فأنظروا كيف عللل هذه الخيرية حيث كانت الأمة آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر ومؤمنة بالله تعالى .

وقد أخذت الأمة علمها وعملها عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فله صلى الله عليه وسلم ثواب ذلك الهدى ، لذلك قالوا إنه صلى الله عليه وسلم يعود عليه ثواب نصف أهل الجنة أو ثلثهم ، وذلك هو الفضل الكبير . قارنوا بين الآية الكريمة السابقة وبين وصف الله لبنى إسرائيل حيث يقول تعالى فى سورة المائدة : (لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) .

فأى فضل علينا فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وفى الائتمار بالمعروف والانتهاء عن المنكر . إن اجتماعكم الكبير فى هذا الحقل أقوى دليل على بقاء الخيرية فى هذه الأمة ، فما اجتمعنا إلا فى محبة الله ورسوله ، ولا تذاكرنا إلا فيما يرضى الله ورسوله ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

أيها المؤمنون :

قلت فى مطلع محاضرتى إن معرفة الله هى علة وجودنا فى هذه الدنيا ، ولا سبيل إلى معرفته تعالى معرفة مذاق إلا من طريق الإيمان به ثم تقوية الإيمان بمتعلقاته من صلاة وصيام وزكاة وحج ونوافل وقربات إلى الله بالعبادات الجسدية والمادية والمجاهدات النفسية .

وقد كان صاحب الذكرى صلوات الله وسلامه عليه يهتم بإيمان أصحابه حتى لقد قال يوما لسيدنا حارثة بن مالك الأنصارى : كيف أصبحت ياحارثة ؟ قال : أصبحت مؤمنا حقا يا رسول الله ، قال : أن لكل قول حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ قال : يا رسول الله عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون وكأنى أسمع عواء أهل النار ، فقال له مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : عرفت فالزم ، ومن هنا جاء قولهم : فلان عارف ، ولم يقولوا عالم ، لأن العلم غير المعرفة ، فالعلم رواية ، والمعرفة دراية ، ويقول الإمام الغزالى رضى الله عنه : فرق بين أن يعلم الإنسان حد الجوع والشبع وبين أن يكون صحيحا وشبعان . فالمذاق الروحى غير التحصيل الفكرى . ويقول سيدى جلال الدين الرومى : هل قطفتم وردا من الواو والراء والدال ؟ اذهبوا فابحثوا عن حقيقة المسمى . وها أنتم أولا قد رأيتم كيف قطع حارثة رضى الله عنه بقلبه اليقظ مفاوز الآخرة حتى كأنه رأى لجنة والنار معاينة ، فما أسعده .

وإذا كان الله تعالى يقول : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فقد جعل العلم وسيلة للخشية وليس غاية فى ذاته ، فمن لم يصل بعلمه إلى خشية الله لا يعد عند العارفين عالما إنما هو فى نظرهم من أوعية العلم فكانوا إذا أشاروا إلى واحد من هؤلاء : يقولون حدثنا فلان وكان من

أوعية العلم ، ولا يقولون : وقد كان عالما ، لأنه لم يتصف بالخشية التى تصاحب العلماء .

وهذا يفسر لكم قوله صلى الله عليه وسلم : " والله إنى لأتقاكم لله وإخوفكم من الله " ذلك بأنه كان أعلم العلماء الذين عملوا بما علموا ، فهو أخشاهم لله وأعظمهم هيبة له سبحانه ، ولذلك قيل :

على قدر علم المرء يعظم خوفه فلا عالم إلا من الله خائف
فآمن مكر الله بالله جاهل وخائف مكر الله بالله عارف

أيها الأحباب :

لا تظنوا أن التربية الدينية يقف أثرها عند أمور الآخرة الآجلة ، بل هى تتصل كذلك بحياة الأمة الدنيوية فى نواحيها المختلفة من سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية ، واستمعوا فى هذا المقام للسيد محمد اقبال وهو الذى نهل من علوم أوربا فى انجلترا وألمانيا حتى حاز أعلا الشهادات ولكنه تربى فى أسرته المسلمة تربية إسلامية عالية فلم يتنكر لدينه ولا لوطنيته فيقول فى عبقريته العالمية التى يعتز بها المسلمون من عرب وعجم ، وقد ترجم شعره إلى العربية صديقى العلامة الشيخ الصاوى شعلان :

قال خير الخلق تاج المرسلين كل أرض مسجد للمسلمين
أى محراب يضم الساجدين إن تركت الأرض للمستعمرين
حرر الأرض لتبنى المسجدا لا تدع غيرك فيها سيدا

ومـــا أروعـــه فـــى توجيـــه المـــؤمن إلـــى الناحيـــة الروحيـــة التـــى تكســـبه عـــز الدارين حيث يقول :

ودنيا الروح سكر بالمعانى وصحو بالرقى وبالمعالى
فعش للروح فى دنيا وأخرى تفز بالعالمين بلا زوال
وان أمسيت للأموال عبدا فقدتهما معا فى كل حال
وإن أصبحت فى الأكوان حرا فأنت من الكمال إلى كمال
وكسب المال للمخلوق حق ولكن لاتبع شرفا بمال
وإن المال قد يأتى ويمضى وأنت وما ملكت إلى ارتحال

فهل آن لشبابنا المثقفين فى الداخل أو الخراج أن يفيقوا من غفلة اللهو والمجون التى غرهم بها الشيطان حين زين لهم حب الشهوات وجعل همتهم وقفا عليهـــا فكأنـــه لا مـــوت ولا بعـــث ولا نشـــور ، ومـــا أبـــدع مـــا يقولـــه إمامنا على ابن أبى طالب كرم الله وجهه : عجبت لمن شك فى الله وهو يرى خلق الله ، وعجبت لمن شك فى الموت وهو يرى الموتى ، وعجبت لمن شك فـــى النشـــأة الآخـــرة وهـــو يـــرى النشـــأة الأولـــى ، وعجبـــت لعـــامر دار الفناء وتارك دار البقاء .

والكـــلام فـــى تزكيـــة الـــروح متســـع ، ويكفـــى أن نقـــول إن الله تعـــالى جعـــل الفلاح فى تلك التزكية وجعل الخيبة فى إهمالها فقد قال تعالى فى سورة الشمس

(قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها) وما أصدق السادة الصوفية حين يقارنون بين الروح والمادة فى قولهم :

فيد الجسم بها انشق الحجر ويد الروح لها انشق القمر

وهم يشيرون إلى انشقاق القمر معجزة لصاحب الروح الكبرى صلى الله عليه وسلم والتى قال الله تعالى فى شأنها فى سورة القمر (اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) .

أيها الأعزاء :

نلم بعد ذلك إلمامة يسيرة بتاريخ المولد المبارك والسيرة العاطرة تبركا بالمولد وصاحبه والسيرة وصاحبها صلى الله عليه وسلم ، لأن الوقت لا يسمح بالإطالة والإفاضة .

اختلف فى يوم المولد المبارك ، فمنهم من قال إنه كان فى ٩ من ربيع الأول ، ومنهم من قال إنه كان فى ١٢ منه ، وقد حقق المغفور له محمود باشا الفلكى الخلاف وانتهى إلى أن المولد كان فى ٩ ربيع الأول من عام الفيل . وهو يوافق ٢٠ إبريل من سنة ٥٧١ م وقال أبن عباس رضى الله عنهما إن المولد كان فى عام الفيل .

وأسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة وهى تدل على شرفه ،

وأشهر تلك الأسماء محمد وقد سمى به فى القرآن ، وأحمد وقد سمى به فى الإنجيل ، وأحيد ، وقد سمى به فى التوراة ، ومعنى أحيد أنه يحيد بنا نحن المؤمنين عن النار ، أما اسمه فى السماء فمحمود ، وأما كنيته فهى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم .

وقد سئل جده عبد المطلب : لماذا سميت الوليد محمدا وليس هذا شائعا فى العرب ، فقال فى إلهام من الله : أرجو أن يكون محمودا فى الأرض والسماء . وقد طاف عبد المطلب بحفيده بيت الله الحرام وعوذه ودعا له وكان ينشد وهو يطوف به :

الحمد لله الذى أعطانى هذا الغلام الطيب الأردان[١]
قد ساد فى المهد على الغلمان أعيذه بالبيت ذى الأركان
من حاسد مضطرب العيان حتى أراه بالغ البنيان

وقد تفاءلت مكة بالمولد السعيد الذى كان فى عام الفيل ، حيث أرسل الله الطير الأبابيل فأبادت أهل الحبشة أصحاب الفيل وكانوا قد جاءوا معتدين ليهدموا الكعبة المشرفة ، وهز ذلك النصر المبين وجدان الشعراء عندئذ فأنشد بعضهم فى هزيمة الأحباش :

---

[١] - ردن على وزن ركن وهو الكم وذلك كناية عن طيب العنصر .

فتنكلوا عن بطن مكة إنها كانت قديما لا يرام حريمها
سائل أميرالجيش عنها ما رأى ولسوف ينبى الجاهلين عليمها
ستون ألفا لم يؤوبوا أرضهم بل لم يعش بعد الاياب سقيمها

وكان من عادة شريفات قريش أن يدفعن بأطفالهن إلى المراضع فى البادية لتصح أجسادهم وتفصح ألسنتهم ، فكان من سعادة بنى سعد أن الوليد الشريف استرضع فيهم ، حيث دفعت به أمة السيدة آمنة بنت وهب القرشية إلى السيدة حليمة السعدية .

وقد استقبل جده عبد المطلب السيدة حليمة حين جاءت تأخذ حفيده فقال لها : من أنت ؟ فقالت امرأة من بنى سعد ، قال : ما اسمك ؟ قالت حليمة ، فتبسم وقال بخ بخ ، سعد وحلم فيهما خير الدهر وعز الأبد .

وكانت حليمة ترقصه وتقول :

يارب إذ أعطيته فأبقه وأعله إلى العلا وأرقه
وادحض أباطيل العدا بحقه

وتحكى حليمة من بركة الوليد الرضيع فتقول :

ألقى الله محبته فى القلوب حتى أن أحدهم إذا نزل به أذى فى جسده أخذ كفه صلى الله عليه وسلم ، فيضعها على موضع لأذى فيبرأ بإذن الله تعالى ومن نزل به ضر فى عينيه مسح عليهما بكفه صلى الله عليه وسلم فيبرأ

بإذن الله تعالى ، وكذلك إذا اعتل لهم بعير أو شاة أو فرس فيأخذون بيده ، صلى الله عليه وسلم ، فيمرون بها على موضع الأذى منه أو على كله فيبرأ بإذن الله عز وجل ، ولقد كان يمس ضرع الشاة للقوم فتحلب غبوقا[١] وصبوحا[٢] .

وقالت : أنبت الله ببركته ، صلى الله عليه وسلم العشب فأعشب الوادى .

وكانت الشيماء ، ويقال لها أيضا الشماء وهى أبنة حليمة تساعد أمها فى حضانته ، وكانت تقول وهى ترقصه :

هذا أخ لى لم تلده أمى ... وليس من نسل أبى وعمى

فديته من مُخْوِل مُعِم ... فأنمه اللهم فيما تنمى

كما كانت تقول :

يا ربنا أبق أخا محمدا ... حتى أراه يافعا وأمردا

ثم أراه سيدا مسودا ... واكبت أعاديه معا والحدا

وأعطيه عزا يدوم أبدا

---

[١] - الغبوق بوزن الصبور ، ما يشرب بالعشى .

[٢] - الصبوح بوزن الصبور ، ما يشرب فى الصباح .

وقد جال فكرى مرة فى شأنه عليه الصلاة والسلام ، فربطت بين أسمائه الجميلة الدالة على كثرة حمد الناس له ، وبين اسم أبيه عبد الله ، وقد قامت الرسالة المحمدية على الدعوة إلى توحيد الله ، وبين اسم أمه آمنة ورسالة ابنها قامت على السلام وتحيتها السلام ، وإنما كان حربه لإقرار الأمن والسلام ، وبين اسم مرضعته حليمة ، وقبيلتها بنى سعد ، وابنتها الشماء ، وبين اسم جاريته أم أيمن ، وأخيرا قلت لا يتأتى كل ذلك مصادفة ، وإنما هى عناية الله التى أحاطت به من كل جوانبه مصداقا لقوله تعالى (فإنك بأعيننا) صلوات الله وسلامه عليه .

وقد تحلى صلوات الله وسلامه عليه من حداثته بمكارم الأخلاق ، وباين أترابه فى نشأته ، فلم يجنح إلى لهو الصبا ولعب الشباب ، ولم تستهوه الشهوات ، بل شب طاهرا مطهرا ، تزينه الاستقامة فى أتم صورها وأعلى قممها ، فتحلى بالصدق والأمانة والحياء والسخاء والتوكل والرضا والذكر والشكر والحلم والصبر والعفو والصفح والرأفة والسكينة والوقار والتواضع والانكسار والشجاعة والنجدة والهيبة والخشوع والخوف والرجاء والدعاء والبكاء والعبادة والجهاد والحق ، ويجمع تلك الصفات على كثرتها قوله تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه متحدثا بنعمة ربه : " أنا دعوة أبى إبراهيم " ودعوة أبيه وردت تفصيلا فى سورة البقرة حيث يحكى الله

أمرها في قوله الكريم (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا منا سكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم * ربنا وابعث فهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه مرة أخرى : " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار "

. أيها الأحباب :

لقد تحمل صاحب الذكرى صلى الله عليه وسلم مشقات عظمى فى سبيل الله ، فحمى دعوة الإسلام فى الأرض بنفسه وماله ، وحماها معه آله الكرام وأصحابه الأعلام ، وقد كانوا أول الأمر قلة لكنهم لم يقبلوا فى دينهم الذلة فهاجروا بدينهم إلى الحبشة ثم إلى المدينة المنورة ، وصبروا وصابروا ورابطوا حتى دانت لهم الأرض فى المشارق والمغارب .

ولقد تغنى ركب المهاجرين إلى الحبشة ، وهم يقطعو الفيافى والقفار ويعبرون البحار ، فرارا بالعقيدة التى حرصوا عليها حرصهم على أرواحهم بل

أشد ، فبماذا تغنى حاديهم فى ذلك الركب المؤمن ، أنه كان يقول بصوته الشجى الذى هون عليهم التضحية مع عظمها :

الأهل والأوطان فراقهم صعب
لكنه الإيمان فداؤه القلب
والروح والأبدان فليقبل الرب

فليقبل الرب

ثم أنظروا كيف صور الله الصحابة الكرام فى حربهم وسلمهم فى كتابه الخالد إذ يقول تعالى فى سورة لفتح (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) أرأيتم كيف كانوا أسودا على الأعداء ورحمة على الأصدقاء وعبادا فى جوف الليل البهيم حتى استنارت وجوههم من إشراق القلوب . ويقول تعالى فى سورة الأنفال منوها بفضل المهاجرين والأنصار (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آوو ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) .

ومن ذلك ترون أيها الأعزاء أن الإيمان ليس كلمة تقال ثم تصحبها دعة واستكانة ، وإنما الايمان يقظة فوارة جياشة ، وتضحيات يتلو بعضها بعضا

فــلا غفلــة ولا بخــل ولا جــبن ، إنــه عمــل دائــب لا ينــى ولا يفتــر ، وشــعلة متقــدة لا تنطفــئ ، ورحمــة كاســحة كالطوفــان الــذى يقهــر مــا يعترضــه وهــو يزخــر ، وحيا الله فليسوف الإسلام إقبال إذ يقول :

أعد من مشرق التوحيد نورا يتم به اتحاد العالمينا
وأنت العطر فى روض المعالى فكيف تعيش محتبسا دفينا
وأنت نسيمه فاحمل شذاه ولا تحمل غبار الخاملينا
وأرسل شعلة الايمان شمسا وصغ من ذرة جبلا حصينا
وكن فى قمة الطوفان موجا ومزنا يمطر الغيث الهتونا

وحين يقول فى ضعف روح الإسلام :

أرى التفكير أدركه خمول ولم تبق العزائم فى اشتعال
وأصبح وعظكم من غير سحر ولا نور بطل من المقال
وعند الناس فلسفة وفكر ولكن إين تلقين الغزالى
وجلجة الأذان بكل أرض ولكن أين صوت من بلال
منائركم علت فى كل جو ومسجدا من العُبَّاد خالى

أيها الأعزاء :

إن المسلمين الأوائل إنما ميزهم عن سائر المسلمين حرصهم على اقتفاء أثر رسول الله ومحاكته والتأسى به ، وكان زمه صلبا لا يفل ولا يقل

بل يزداد على الأيام شدة وقوة ، قام ليلة فقاموا ، وحارب الأعداء فحاربوا ، وسالم أهل السلم فسالموا ، ورحم اليتيم فرحموه ، وواسى المصاب فواسوه ، وعاد المريض فعادوه ، وقال : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا فاستمسكوا واتحدوا ولم يختلفوا ، وما أحوج مجتمعنا اليوم لذلك وقد تفككنا فاستضعفنا الأعداء ، وقد حذرنا منهم صاحب الذكرى حين قال بنور الله الذى آتاه " يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، قالوا ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ، قال : لا بل كثير ولكنكم غثاء كغثاء[١] السيل " .

ويقول شيخى وسيدى الشيخ على عقل[٢] رضى الله عنه فى إلهامه الفورى الذى نقلناه عنه :

فيا أمة الإسلام مذا أصابكم ... أترضون للإسلام أن يتأخرا
تركتم حدود الله وهى سلامة ... واهملتوا آثار من هذبوا الورى
زعمتم بأن الغرب فجر حضارة ... وما الغرب إلا بالمآثم قد جرى
أباح الربا جهرا وما حرم الزنا
وقد حلل الصهباء واستعمر الورى
إذا نحن قلنا ليس فى الغرب حكمة
تقولون لولا الغرب لن نتحضرا

---

[١] - الغثاء بضم الغين هو ما يحمله السيل .
[٢] - انتقل إلى رضوان الله فى ٢٤ مارس سنة ١٩٤٨ .

أرى الغرب لو للعدل كانت حروبه
لما جال فى أفيائنا وتبخترا
وما هتفت بالحرب يوما ديارنا
ولا شهرت سيفا ولا حشرت قرى
وليت بنى قومى أقاموا على الهدى
وكانوا كأسلاف لهم حكموا الثرى
ولم يجعلوا التقليد فخر حياتهم
ولم يرتدوا اللذات تاجا ومئزرا
وكانوا رجالا يحسنون أمورهم
ولا حقروا قومية لن تحقرا
وليس بحر من يصافى عدوه
ويطلب منه العون إن طارئ طرا

فهل لنا من عودة إلى مجدنا الذى بلغه أوائلنا بفضل التأسى برسول الله صلى الله عليه سلم ، فورثهم الله ألأرض وجعلهم خلفاء فيها مصداقا لقوله تعالى فى سورة النور (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون * وأقيموا الصلاة وآتو الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) .

اللهم أرزقنا بعونك طاعتك وطاعة رسولك حتى نلقاك تحت لوائه مع الذين قلت فيهم فى سورة الحديد (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم) .

وأشكركم على حسن استماعكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .